الطريق نحو اقامة سلم دائم وشامل في الشرق الاوسط ، بعد ايجاد حل كامل للقضية الفلسطينية ، لا تبدو في حقيقتها الا حلفا بين الاطراف الثلاثة التي وقعتها . الولايات المتحدة ومصر واسرائيل . وهدف هذا الحلف ليس فقط تأمين مصالح الاطراف المشاركة فيه ، كل حسب مفهومه ، بل ــ كما يبدو ــ بسط نفوذه على كافة بلدان منطقة الشرق الاوسط ، تحت هيمنة الشريك الاكبر : الولايات المتحدة .

وعند هذا المنعطف ، تبدو مخاطر جديدة ، وتظهر ملامحها على الوجه الآخر من عملة السلام المصري ــ الاسرائيلي ، وان لم تكن واضحة بما فيه الكفاية ؛ اذ ان احدا من الاطراف المعنية لم يتعامل معها حتى الان ، او ــ على وجه التحديد ــ لم يجد نفسه في وضع شبيه بالوضع الحالي . واول هذه المخاطر هي تلك الناجمة عن طبيعة الحلف الثلاثي الجديد ، والاهداف التي سيعمل على تحقيقها . فسعي هذا الحلف الى بسط نفوذه على منطقة الشرق الاوسط ، في محاولة لتأمين مصالح اطرافه ، كل حسب مفهومه ، تحت الهيمنة الاميركية من جهة ، واقامة كتلة معادية للسوفيات من جهة اخرى ، لا بد من ان يصطدم بالسياسات المستقلة للدول العربية المعنية ومصالحها ، فيؤدي بالتالي الى تفجير صراع من نوع جديد في العالم العربي . غير ان من الخطأ الاعتقاد بأن ابعاد هذا الصراع ستكون واضحة ، باعتبار انها ستدور بين ابيض واسود ، بل على العكس من ذلك ستكون الوانها مختلفة ومتشابكة بعضها بالبعض ؛ لان لكل من الاطراف المرشحة للانضمام لهذا الحلف مفاهيمها ونظراتها الخاصة بها لهذا الصراع . بل ان بعضها لا يمانع في اقامة احلاف جديدة ، بشرط الاستجابة لطلباته الخاصة به ، وعلى ان يتم ذلك وفق مفاهيمه . ومن هنا يطل الخطر . فكثرة الاطراف المعنية بهذا الصراع ، او المرشحة لأن تنضم اليه ، وتباين نظراتها الاستراتيجية ، تهيىء المنطقة ، بالاوضاع التي تسود فيها ، لان تدخل في مرحلة تكاد تكون شبيهة بتلك التي كانت قائمة ايام الصليبيين ، بالتحالفات الغريبة التي كانت تعقد آنذاك ، والحروب التي كانت تتبعها . بل ان الاوضاع السائدة في الشرق الاوسط ، على ما فيه من انظمة وقوى وشخصيات ، ذات منطلقات واتجاهات مختلفة ، تكاد تمهد الطريق لان يعود التاريخ نفسه مرة اخرى . واذا وقع ذلك ، ستحشر القضية العربية بعامة ، والفلسطينية بخاصة ، في نطاق ضيق ، ويتجه الصراع نحو مسارات اخرى ، ليست في مصلحة العرب ، وخصوصا المشرق .

غير ان مثل هذا الاتجاه قد يعتبر ، من ناحية ثانية ، خطرا بالنسبة لاسرائيل ايضا ؛ اذ قد يفسر من قبل بعض الدوائر الاسرائيلية بأنه مناف لبعض المفاهيم الاستراتيجية الصهيونية الاساسية . ووضع كهذا قد يدفع اسرائيل الى التصرف بشكل آخر . فالعلاقة بين بعض الانظمة العربية ، الدائرة في فلك الامبريالية او المتحالفة معها او المرشحة لذلك ، قد تكون احيانا تكتيكية او مرحلية ، على ما قد ينجم عن ذلك من أخذ ورد أو تغيير في المواقف . ولكن هذه العلاقة نفسها ، بالنسبة لاسرائيل والصهيونية ، هي استراتيجية وثابتة ، ينبغي المحافظة عليها والتمسك بها ، بشكل تبقى معه فريدة في نوعها ولا يشارك فيها احد ؛ لانه في اللحظة التي يزداد فيها النفوذ الامبريالي في المنطقة ، ويضم اطرافا آخرين ايضا ، يتقلص الحيز الذي تشغله اسرائيل في الدائرة بأسرها ، ويخف « وزنها » وتمس « وحدانيتها » ، على ما قد يتبع ذلك من ضعضعة لمركزها وتقليص في الدعم الذي قد تحصل عليه . ويلاحظ ان القادة الصهيونيين كانوا يبدون ، دائما وابدا ، حساسية بالغة تجاه محاولات الدول الغربية ،